إسهامات الإمام النانوتوي في الردّ على شبهات الهنادكة

تقديم: مزمل الحق بن عبد الكريم

معهد الفكر الإسلامي ديوبند

Deoband Institute of Islamic Thought

An Islamic Think-tank

© Deoband Institute of Islamic Thought, April 2014

بسم الله الرحمن الرحيم

إسهامات الإمام النانوتوي في الردّ على شبهات الهنادكة

تقديم: مزمل الحق بن عبد الكريم

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وشرع لهم ديناً يسوق بهم دار الأمان، فبعث النبيّين والمرسلين لتبشيرهم بالنعيم، وإنذارهم من يوم الفرقان. والصلاة والسلام على نبيّنا محمد بُعِثَ إلى كافة الناس من ربّه المنّان، فدعا الناس إلى الدين المحكم بالأدلة والبرهان، فظهر دينه على الدين كلّه بالسلطان، وعلى آله وأصحابه، ومن أتوا بعد من علماء الدين، الذين نفوا عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتاويل الجاهلين. أما بعد!

فالتاريخ يشهد أن أعداء الإسلام ما زالوا يحاولون في إضرار الإسلام والمسلمين بكل شكل ممكن منذ اليوم الأوّل، كي يرتدّوا عن الإسلام. قال الله 1: ((وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ))[1]

فاخْتبروهم بالتكاليف الجسمانية، كما يُحرّمونهم عن حقوقهم الواجبة المستحقة. لكن خابوا وخسروا في مرامهم كلّ مرّةٍ. وكان المسلمون قائمين على الإسلام، رغم هذه التكاليف والشدائد. أخيرًا أدركوا سبب خسرانهم ووجدوا سبب غلبة الإسلام والمسلمين بأنّ قومَ المسلمين، يحبّون دينهم أكثر من حبّهم أنفسَهم وأموالَهم.

فاخترعوا طريقًا أنيقًا ضدَّ الإسلام والمسلمين بأن يُشنّ المسلمون في قوّتهم التي بَلّغتْهم إلى هذا المقام. وأخذوا يفتّشون عن تخريب هذه القوّة، فبحثوا ثُمَّ بحثوا حتى وجدوا أنّ العقائد الإسلاميّة كالروح لدى المسلمين، والتعاليم الإسلاميّة والفكر الإسلامي كالأعضاء الأخرى لازمٌ ومهمٌّ لها عند المسلمين. فإن خربت العقائد و يُمْنَعُ المسلمون عن الأعمال، تنقضي القوّة التي يمتازون بها عن الأخرين. فأخذوا يعملون على هذا المستوي منذ زمن، والسلسلة لم تنقض إلى حدّ الآن.

---

[1]. القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: 109

ومن هذه السلسلة، ما حَدَثَ في الهند خلال القرن التاسع عشر والعشرين الميلادي، فكانا من أقسى أدوار التاريخ الإسلامي للإسلام والمسلمين بعد فتنة التتار، فقد اسْتولي الغرب خلالهما على أكبر رقعة من رقاع العالم الإسلامي بعقليّته الاستعمارية وسياسته الاستيطانية، وترفرت رايات أوربا على أقطار الشرق والغرب، فلم يحفظ مسلموا الهند دولتَهم عن أيديهم.

فقبضوا عليها أيضاً. لكن المسلمين –على ما قال أحد مؤرخي الإنجليز[2] – هم العقبة الكؤود عندهم في طريق مهمّاتهم، لذا واصلوا في غزوهم الفكري بجانب فتح الأمصار والبلاد وتكليفهم بالشدائد الجسمانية، والمالية. واستهدفوا – حسب الأصول المذكورة فيما قبل– كلّاً من حياة رسولهم الذي هو أحبّ إليهم من أنفسهم وأموالهم، وكتاب الله الخالد، والشريعة الإسلاميّة السمحة، والتاريخ الإسلامي الحافل بالأمجاد والبطولات، والفتوح الإسلاميّة بنقد لاذع وتحليل جائر وأورثوا التشكيك في كل مايمت بصلة إلى الإسلام من علم وأدب.

وجملة القول أنهم لم يجدوا سبيلا إلى إزعاج المسلمين إلا وقد أتوه، حتى آلَ الأمرُ إلى أنهم حاولوا مساومة المسلمين على إيمانهم علنًا وجهاراً.

مما سلك في تخريب عقائدهم والتعاليم الإسلاميّة– التي هي أثمن من أنفسهم وأموالهم– إتيانُهم بالقساوسة المعلَّمين من لندن؛ ليعترضوا على الإسلام و تحدّوا الإسلام وأهله بارزين إلى الميدان. لم يكتف على هذا القدر بل بعثروا أهل المذاهب الأخرى ضدَّ الإسلام والسلمين.

وكانت الفتنة العظمٰى من تلك الفتن التي كان المسلمون يواجهونها في ذلك الحين هي دعايات الهندوس ضدّ الإسلام وخاصة فرقة "آرية سماج" التي أنشأها دياناند سرسوتي. فبرزوا إلى الميدان ليدعووا الناس إلى مذهبهم الباطل، واعترضوا على الإسلام وتحدّوا للمقابلة على أشهاد الرؤوس حتى عسر على المسلمين حياتُهم.

كانت هذه الأوضاع والظروف تتطلب شخصيةً فذّةً عبقريةً، تقوم بردّ قويّ على شبهاتٍ تُثار حول الإسلام، ويكون هو بجانب النبوغ والعبقرية ثاقبَ الفكر، نافذ النصيرة، رابط الجأش، متوجعًا للفؤاد، لايهدأ له بال، ولا يقرّ له قرار، لا يصبر على غواية الأمّة، ولا يقعد عن العمل ، وقد أعطي جزءاً من كرب الرسول

([2]). أعظم الندوي، الإمام محمد قاسم النانوتوي، (المعهد العالى الإسلامي حيدر آباد، الهند، السنة: 2010م/ 1431هـ)، ص 19

الذي وصفه القرآن بـ"بخع النفس" في قول الله 1: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا.[3]

فبعث الله 1 رجلاً يحفظ دينهم ويأتي بسفينة المسلمين التي كادت أن تغرق. فكرّس حياته كلّه في خدمة الدفاع عن الإسلام ومقاومة الغزو الفكري، حتى أُجبر أعداء الإسلام على أن يتولّوا مدبرين ويخلوا سبيل المؤمنين. فهزم القساوسة أَمَامَهم، كما فَرَّ بنادتُ الهنادكة من ميدان المعركة حين عجزوا عن تحمّل شنّه. ألا وهو إمامنا الأجل، قائدنا الأبجل محمد قاسم النانوتوي–رحمه الله رحمة واسعة–.

ففي هذه المقالة نقدّم – إن شاء الله 1– بتفصيل ما جرىٰ بينه وبين الهنادكة من اعتراضاتهم، ومساهمات الإمام — في الردّ عليها. أوّلاً نلقي ضوءاً على مجموعة أحوال الهنادكة آنذاك، كي يسهل علينا فهمُ مرتبة جهود الإمام —.

الهنادكة في ذلك العصر ومهمّاتُهم ضدَّ الإسلام والمسلمين

ما زال يعيش أقوام الأديان المختلفة في هذه القارة الهندية من أمدٍ بعيدٍ، وكانوا يعيشون بالتعايش السلمي، فلن يوجد في أوراق التاريخ مثالٌ على أنّ الأمراء المسلمين ظَلَمَ على من كانوا على غير دينهم من رعيّتهم، نعم! يوجد مثالُ ظلمِ الأمراء السلمين على المسلمين، والتكاليفِ المتعددة منهم على من أراد أن يحسن دينه، كما في دور الأكبر و دور أبيه.

لكن بعد استعمار الإنجليز مع أمور عديدة، برزوا بأنفسهم وأجبروا على الغير للخروج ضدَّ الإسلام. وأعانوا من أراد أن يقابل ضدَّ الإسلام والمسلمين. فبرعايةٍ مِنْهم خرج الهنادكة في الميدان ليغلبوا الإسلام والمسلمين. فصالوا على أقدر وأقوم شيء لدى المسلمين من إيمانهم و عقائدهم مع صدودهم المسلمين عن أعمال الخير.

فأوّلُ من بادر علناً وجهراًس من الهنادكة للاعتراض على الإسلام هو "بندت أندرمَنْ المرادآبادي" من شرق الهند. فقابله عالم بارع نيابةً عن جميع مسلمي الهند هو "الشيخ على أحمد" من سكان مرادآباد، حتى إنّه نصب هدف حياته، التعليمات الهندوسية والردَّ عليها. وهو الأوّل ممن صنّف كتابًا في هذا المجال، وكتابه قد طبع بإسم "سوط الله الجبّار" ، ردَّ فيه الشيخ على اعتراضات الهنادكة. ثمَّ صنَّف رجل قريب

---

[3]. القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية: 06

الإسلام كتابًا بإسم "تحفة الهند" عام 1851م، فلا يستطيع بندت أن يتقدّم إلى الأمام. فمكث أيّاماً على هذه الحالة.

ثمَّ نشر كتابٌ شهيٌر لـ"بندت دياننند سرسوتي بإسم "ستيا براكاش أي إظهار الحق"[4] سنة 1875م. اعترض فيه بندت على الإسلام والنصرانية، الذي أثار الغضب في المسلمين غضبًا شديدًا. فأخذت تشيع الخطابات وتنشر المقالات علنًا وجهراً ضدَّ الإسلام بعد نشر هذا الكتاب. ففي هذا الأثناء التحق بندت أندرمن ببندت دياننند سرسوتي، فكثيراً ما يُدعيٰ لالقاء الخطابة في الاجتماعات ضدَّ الإسلام مع بندت سرسوتي. فبين هذه الحالة نشر إعلان ما نصّه: '' أنّ "القس نولس" و"المنشي بياري لال كبير بنتهي" قرّرا مهرجاناً بإسم "مهرجان معرفة الإلٰه" في "تشاندار بور" من قصبات مدينة شاه جهان بور من ولاية أترابراديش، في ستّ من مايو عام 1876م''.

دعي فيه دعاة الديانات المختلفة المشهورة من الإسلام، والهندوكة، والنصرانية. فطُلب من الكلّ أن يلقيَ كلُّ داعٍ خطباتٍ على صداقة دينه. لكن لم يأت بندت هنا، بل أرسل بديله الهنادكة الأخرن إلى المعرض. ثمَّ كان يختلف إلى مواضع عديدة، يسكنون فيها المسلمون، فيعترض على الإسلام اعتراضاته الركيكة؛ ليفسد بين المسلمين. فالحاصل كان المسلمون في ضيْقٍ لأجل حركته هذه.
وكلّهم ينتظرون مسيحة، يقابل الهنادكة، فيرد عليهم بحيث لا يجأروا بعد لارتكاب بمثل هذه الحركات. فكان الواجب آنذاك على كلّ مسلم أن يردّ على ما يَرِدُون على الإسلام، ويُحِقُّ صداقةَ الإسلام.

وهنالك برزت شخصية، وظهر بَطلٌ، أحَقَّ الحقَّ بسيْفِه، وقلمه، ولسانه، وقام بالحفاظ على عقائد الإسلام والمسلمين. وما هو إلا الإمام قاسم النانوتوي الصدّيقي الديوبندي، الذي كان من طليعة العلماء الذين قاموا بإعداد حصن شيِّدٍ للحفاظ على أنفس المسلمين، وأموالهم، ودينهم، في صورة إدارة تعليمية بمقام ديوبند.

من هو قاسم؟

---

(4). الشيخ بدر الحسن القاسمي، مولانا محمد قاسم نانوتویؒ اور جدید علم کلام -الإمام محمد قاسم النانوتوي، وعلم الكلام الحديث- حجة الاسلام الامام محمد قاسم نانوتوی ؒ: حیات، افکار، خدمات-أي الإمام النانوتوي: حياته، أفكاره، خدماته-، (تنظیم ابنائے قدیم دار العلوم دیوبند،نئی دهلی ۲۵، سنة الطبع: ۲۰۰۵)، ص 203

هو عبارة عن عالم ربّانيٍّ، عبقريّ من عباقر الأمّة الإسلاميّة، فيلسوفٍ من فلاسفة الإسلام. قد ابْتكر أسلوبًا فلسفيًّا جديدًا لتفسيرالإسلام والردّ على معترضيه.[5]

ولد 1248ه الموافق 1833م. تلمّذ على مجموعة من أفاضل عصره، ويجدر بالذكر منهم الشيخ مملوك العلى الديوبندي، الذي كان من أجلّ علماء عصره. وقرأ الحديث على المحدّث الهندي الشهير الشاه عبد الغني، الذي كان من سلالة الإمام الرباني الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي. وبايع على يد الشيخ الحاجّ إمداد الله العمري التهانوي المهاجر المكي. وتوفّي الشيخ سنة 1297ه الموفق 1880ء فرحمهم الله رحمة واسعة. [6]

نظرةٌ خاطفة على ماجري بينه – وبين الهنادكة

فللمرّة الأولى ظهر الإمام كمناظر بارع، وخطيب قدير في ذالك المعرض المذكور. وتفصليه: بعد نشر الإعلان المذكور دَعاه – أهلُ شاه جهانبور، ليحضر المعرضَ و يخطب على حقّانية الإسلام. فالإمام – حين وصله خبرُ المعرض، ماجت في قلبه حمية الإيمان. فأرسل إلى الشيخ منير المؤقّر–وكان يسكن في بريلي حينئذٍ– طالباً تفاصيل المعرض مما يتعلّق بالمعرض من وقت انعقاده، وموضعه وما إلى ذلك، ولكن لم يخبره – شيءاً، لكن إذا ألحّ أهل شاه جهانبور، خرج الإمام – على رجله إلى المعرض. فحضر المعرض لـ سبع مايو، عام 1986م، فخطب هناك خطبةً بليغةً على صداقة الإسلام، فنوّر قلوب المسلمين بنور الإيمان و ردّ على اعتراضات غير المسلمين من الهنادكة والقساوسة.

ولمّا سمع إعلان المعرض في العام القادم في يوم19 ، 20 مارس، سنة 1877م، بادر إليه لإحقاق الحقّ وإبطال الباطل، وكان هناك آنذاك بندت دياناند سرسوتي و بندت أندرمن في هذا العام، فاعترض عدّة اعتراضات حينئذ –سيأتي بيانها إن شاء الله–.[7] لم يردّ الشيخ على هذه الأسئلة ردّاً مسكتاً، وأثبت تفوُّق

---

[5]. محمد ساجد القاسمي، تعريب ميله خدا شناسي [محاورات في الدين]، (أكاديمية شيخ الهند، الجامعة الإسلاميّة دار العلوم/ ديوبند، سنة الطبع 2011م/1432ه)، ص 24-25

[6]. الأعظم الندوي، الإمام محمد قاسم النانوتوي، ص7-11

[7]. الشيخ أسعد الأسرائيلي، ہندوستانی غیر مسلموں کے اشکالات اور حضرت نانوی کے جوابات حیا–اعتراضات كافري الهند وردّ الإمام عليهم–، – حجۃ الاسلام الامام محمد قاسم نانوتوی: حیات، افکار، خدمات–أي الإمام النانوتوي: حياته، أفكاره، خدماته–، (تنظیم ابنائے قدیم دار العلوم دیوبند،نئی دهلی ۲۵، سنة الطبع: ۲۰۰۵):ص 204،205

الإسلام على الهندوسة والمسيحية فحسب، بل أجاب عن كثيرٍ من شبهاتٍ تُثار من قِبَل الهنادكة، وحيثما وصل خبر هذه المناظرة، استنهض همم المسلمين.

ثمّ قصد الإمام بيتَ الله الحرام عام 1877م و ذهب إلى مكة بنفس السنة. ورجع من هنا بعد ستة أشهر، ولمّا وصل الإمام في مارس سنة 1878م إلى الهند، رأىٰ أنّ خطبات بندت ديانند سرسوتي ذَاعَ صوتُها في كلّ مكان. فممّا أثار الفتنة بين المسلمين، اعتراضاته في ركي بنفس السنة. فإذا قيل له أن يناظر مع أهل الإسلام، يقول: إني لا أناظر إلا الشيخ قاسم، فدعي الإمام – للمناقشة معه، فلما جاء الإمام – للمناظرة، لم يحضر بندت في هذه المرّة أيضاً، بل اختار طريقَ الفرار عنه. فانعقدت حفلة عُظميٰ بحكم الإمام، أجاب وردَّ فيها على اعتراضاته الركيكة.[8] وجمعت هذه الرود في كتاب "إنتصار الإسلام".

على هذا ذهب بندت إلى ميروت، فجعل يثير الفتنة بين مسلمي ميروت باعتراضاته الركيكة، حتى غضب المسلمون غضباً شديداً، فأرسلوا الخبر إلى الإمام، مُصِرّين إيّاه على المجيئة هنا للمناظرة معه. فجاء الإمام بلا تاخيرٍ، فلمّا دُعي بندت للمناقشة، لم يحضر هنا أيضاً، بل أنشر صاحبه انند لال في المجلة –التي تصدر من قِبَلهم– اعتراضاتٍ على الإسلام، فأراد الإمام أن يجاب عن هذه الاعتراضات، ففعل، وطبعت الردود على هذه الاعتراضات في كتاب مسمي بـ "جواب تركي به تركي" (الجواب المفحم).

فخلاصة الكلام أن تعداد المواجهة بين الإمام والهنادكة أربعة: (١) في معرض معرفة الإله لعام 1876م، (٢) في معرض معرفة الإله لعام 1877م، (٣) في مناظرة ركي، (4) في مناظرة ميروت.

اعتراضات الهنادكة على الإسلام

إننا قسمنا الاعتراضات الموجّهة من قِبَلِ الهنادكة إلى الإسلام، التي يتعلق بالإمام على أربعة أقسام، كما قسمنا ما جرىٰ بينه – وبين بنادت على أربعة أقسام.

---

[8]. أيضاً. ص213-214

(١) اعتراضات عُرضت في معرض معرفة الإلٰه الأوّل: قضيتان تتعلّقان بالإمام والهنادكة من القضايا المختلفة، وهما: (١) مسألة التوحيد، (٢) مسألة أكل اللحوم. وتفاصيل المباحث في كتابه المسمىٰ "حجة الإسلام".

(٢) اعتراضات عُرضت في معرض معرفة الإلٰه الثاني: في هذه المرّة جرىٰ الكلام على خمس سوالات الهنادكة، وهي: (١) بم خلق الله الكون، ومتى، ولماذا؟، (٢) أ ذات الله محيط بكل شئ أم لا؟، (٣) آلله رحيم عادل؟ إن كانت الإجابة بـ نعم، فكيف هو عادل ورحيم في وقتٍ معًا؟، (4) ما الدليل على كون "الفيدا"، و "الإنجيل"، و"القرآن" كلام الله؟ (5) ما النجاة، وماالسبيل إليها؟. وتفاصيل الكلام على هذه الاعتراضات في الكتاب (ميله خداشناسي) "محاورات في الدين".

علاوةً على هذا، ردّ الشيخ في هذا المعرض على مواقف الهنادكة المختلفة من عقائدهم حول وجود الشيطان والملائكة، والجنة والنار أيضاً.

(٣) اعتراضات عُرضت في مناظرة ركي: ووجّه باندت سرسوتي أحد عشر اعتراضًا إلى الإسلام، فالشيخ ردّ عليها ردًّا مسكتاً، وهي: (١) الله ليس بقادر مطلقاً، (٢) من أزلَّ الشيطان؟، (٣) عقيدة النسخ خاطئة، (4) عقيدة المسلمين بشأن الروح خاطئة، (5) تعدّد الأزواج، (6) عقيدة غفران الذنوب بالتوبة تُعارِضُ العقلَ، (٧) أسلوب ذبح الحيوانات عند المسلمين شئٌ غير معقول، (٨) لماذا حرمت الخمر في الدنيا، وأحلت في الجنة؟، (٩) أسلوب دفن الموتي عند المسلمين غير صحيح، (١٠) عقيدة المسلمين في الثواب والعذاب يعارض العقل، (١١) استقبال الكعبة هو الوثنيّة. وتفاصيل المباحث في كتابين مشهورين له – "إنتصار الإسلام"، و "قبلة نما". يشتمل الأوّل على عشرة الشبهات الأُوَل. والثاني على شبهةٍ فقط.

(4) اعتراضات عُرضت في مناظرة ميروت: إنّ الهندوسي أنندلال اعترض على الإسلام اعتراضات في مجلّتهم "آرية سماجار"، فردَّ الشيخ عليها، جمعت تلك الردود في الكتاب "جواب تركي به تركي (الجواب المفحم)". يشتمل هذا الكتاب على مسائل دقيقة لعلم الكلام، ففيه مسألة وجود الباري، صفات الباري مثل علمه، وقدرته. وأثبت في آخر الكتاب أنّ القرآن كلام إلهٰي من غير كتب أخرى، والحاجة إلى الأنبياء، وفضائلهم. ثمّ تكّلم فيه على ختم النبوّة. في آخر الكتاب قد دُعي بندت للمبارزة، لكنه على حسب عادته، لم يجرأ عليها. وهذا هو كتاب أخير للإمام؛ لأنه قد توفّي بعد عدة شهور من تإليف الكتاب بنفسه.

أنواع الردّ على الهنادكة

فهذا تفاصيل الاعتراضات الموجّهة إلى الإسلام من قِبَل الهنادكة، التي ردّ عليها الإمام بخطاباته المفحمة في أمكنة مختلفة، وكُتب قيمة، ومناظرات ناجحة، مما علم منه أنّ الرد عليهم ثلاثة أنواع: 1) كتابي، 2) خطابي، 3) بالمناظرة.

منهجه في الردّ على الهنادكة

فالإمام يسلك في الردّ منهجاً أنيقاً من أنه قد يجيب الاعتراضات بنوعين من الجواب: نقلي، وعقلي. وتكون الدلائل على بصائر، يحل بها مناقشات أخر، غير هذا الاعتراض الذي تعرّض لرده الإمام.[9] ربما يردّ عليها أيضاً بنهجين: بإلزامي، وتحقيقي.[10] كما في ردوده على اعتراضات موجّهةٍ من قِبَل بندت سرسوتي في ركي.

وقد يخاطب بحيث يُري أن متكلماً يقول، أي يخطب على منهج المتكلمين. كما شهد به كتابه "جواب تركي به تركي".

إنه يثبت الأشياء بحيث لا يمكنهم إنكاره، لأنه أوّلاً يورد مقدماتٍ مشتملة على تمثيلات المشاهدة اليوميّة، التي يتّفقون أنفسهم عليها أيضاً، حتى يسدّ لهم طريق الفرار.[11]

إنه يتكم بدون أيِّ تكلُّفٍ، ولا تصنُّعٍ، بل يتكلم على حالته العامة بإخلاص وتقوى، وعلى محبّة منهم بأن يهتدوا إلى الصراط المستقيم.[12] تكون خطبته مشتملةً على التجربات اليومية، والدلائل النقلية والبراهين العقلية، مما يبهت غير المسلمين أيضاً بسماعها فقط.

تاثير ردّ الإمام في الهنادكة

كما قلنا: إن الإمام كان يخطب خطبةً مملوءةً بإخلاص وتقوىٰ، وعلى محبّةٍ منهم بأن يهتدوا إلى الصراط المستقيم، كما أن الخطبة تكون مزيّنةً بالأدلّة العقليّة والنقليّة، بحيث لا يسع لأحد أن ينكرها، ولو لا

---

[9]. الشيخ أسير أدروي، مولانا محمد قاسم نانوتوی: حيات اور كارنامے- الإمام النانوتوي: حياته و مآثره-، اكاديمية شيخ الهند ، الجامعةالإسلاميّة دار العلوم/ ديوبند، سنة الطبع: 2012م/1433، ص 326-330

[10]. أيضاً، ص: 215

[11]. أيضاً، ص: 326-330

[12]. أيضاً، ص: 326-330

يؤمن بعده ايضاً. وما نقلت من غير المسلمين من الهنادكة، والنصارى في هذا، يؤيّد ما قلنا، فالآن أذكر هنا اقتباسات من تأثّرات من قِبَل من سمع خطبته من الأعداء، ثم شهد بفضله:

*** لما انتهي الإجتماع للعام الأول، أحاط به الناس من المسلمين والهندوس، وكان الهندوس مسروراً جداً مثل المسلمين، وكانوا يقولون: ((لقد أهزم الشيخ ذو الإزار الأزرق القساوسة هزيمة نكراء)).[13]

*** قال العالم الهندوسي الذي كان جالساً بجانب الشيخ حينئذ–وهو ممن كان وجّه السوال إلى الشيخ أثناء خطبته — – أريد من صميم قلبي أن أسأل عن شؤون الدين، فمن أراد أن يسأل عن الشؤون الدينيّة، فليسأل من كان عالما بارعا في الدين)).[14]

*** حينما رجع الناس من الاجتماع، جعل يشير هندوسي–جانكي داس– لأتباعهم إلى الشيخ، ويقول: ((هذا هو الشيخ)).[15]

أخبر الشيخ "أحمد على" أن القساوسة كانوا يقولون فيما بينهم: ((هزمنا نحن اليوم))[16]

قال الشيخ الهندوكي ((موتي لال)): "كان القساوسة يقولون: ((وإن كان "محمد قاسم" يلقي كلمته ضدّنا إلا أنه من الإنصاف أننا لم نسمع خطباً وبحوثاً كاليوم)).[17]

وقال المعلّم كوئل بهذه المناسبة: ((رأيت عالماً كبيراً من المسلمين)) و يعني به الإمام قاسم النانوتوي —.

يكتب مرتّب الكتاب "ميله خدا شناسي" (محاورات في الدين): رأي كاتب السطور أن الهندوس قال بعضهم : واهًا أيها الشيخ! وقال آخرون منهم: سلام عليك أيها الشيخ.[18]

المسائل التي يعترض عليها الهنادكة

---

[13]. محمد ساجد القاسمي، تعريب ميله خدا شناسي [محاورات في الدين]، (أكاديمية شيخ الهند، الجامعة الإسلاميّة دار العلوم/ ديوبند، سنة الطبع 2011م/1432هـ)، ص 83، 84

[14]. أيضاً، ص 84

[15]. أيضاً، ص 86

[16]. أيضاً، ص 84

[17]. أيضاً، ص 84

[18]. أيضاً، ص 198

نستطيع أن نقول حسب تفاصيل الاعتراضات المتاحة: أن المهدف باعتراضات الهنادكة هو أصول الإسلام، وكانوا قد أختاروا في اعتراضاتهم طريقاً جديداً وأسلوباً لم يواجهها أهل الإسلام من قبل، فردّ فكرُه العالى على هذه الاعتراضات ردّاً مفحماً وجواباً مسكتاً، على ضوءٍ وجودةِ ذهنه.[19]

فاعتراضاتهم كانت على: التوحيد والرسالة، وتعدد الأزواج، والآخرة من عقيدة المسلمين في الثواب والعذاب، والإيمان بالغيب من عقيدة عن وجود الملائكة، والجنّ، وحقيقة الروح، وعلى الأحكامات مثل إستقبال الكعبة هو الوثنيّة؟، لماذا حرمت الخمر في الدنيا؟ و ما إلى ذلك.

خلاصة الاعتراضات والردّ عليها

حان الوقت أن نُقدّم خلاصةَ شبهات الهنادكة، والردود عليها من قِبَل الإمام قاسم النانوتوي —. فلتقريب المباحث أوّلاً نسمّي الكتب التي صنّفها للردّ على الهنادكة. ثمّ أنقل الشبهات والردود من تلك الكتب ملخّصاً، وبتغيّر يسير من قبلي. وهنا أربعة كتب، يتعلق بهذا الموضوع. وهي: (1) حجة الإسلام, (2) إنتصار الإسلام، (3) جواب تركي به تركي [الجواب المفحم]، (4) محاورات في الدين.

فخلاصة مباحث حجة الإسلام

أن هذا الكتاب مشتمل على ثمانية وأربعين صفحة، تكلّم الإمام فيه عن حقّانية الإسلام، والردود على اعتراضات غير المسلمين على الإسلام. كان يريد أن يلقي خطبة على قضايا إسلامية أمام متّبعي المذاهب المختلفة في "معرض معرفة الإلٰه" لعام 1876م، فأعدّ مقالةً، طبعت بعد في صورة هذا الكتاب.

أكثر مسائله تتعلق بالمسحيّين. وما يتعلق من مسائله بالهنادكة عندي ثلاث مسائل أصوليّة. وهي: مسألة التوحيد، ومسألة الرسالة، ومسألة حلة اللحم.

أما الأوّل: لأن ارتكابهم في الشرك يدلّ على إنكارهم توحيدَ الباري 1، فكلام الإمام على ثبوت التوحيد، ردٌّ عليهم أيضاً، كماهو ردٌّ على المسيحيّين. أما الثاني: أن اعتراضهم عن رسول الإسلام، يبتني على إنكارهم الرسالةَ. فبإثبات الرسالة، رُدّ كثيرٌ من الاعتراضات. وأما الثالث: أنهم يعترضون على الإسلام بأنهم يقولون: لماذا أحلّ اللحم؟ إليس ذبح الحيوانات بظلم عظيم؟. فردّ عليه الإمام في نفس الكتاب. الآن إليكم تلخيص الردود على هذه الشبهات:

---

[19]. الشيخ أسير أدروي، مولانا محمد قاسم نانوتوی ؒ: حيات اور كارنامے- الإمام النانوتوي: حياته و مآثره، ص٣٢٨

مسألة التوحيد:

من المعلوم أن الإسلام مبنيّ على أمرين: "التوحيد" الذي هو عصارة ((لا إله إلاّ الله))، والرسالة التي هي خلاصة ((محمد رسول الله)).

إثبات التوحيد:

الدليل الأوّل: من المسلّمات أن حجم وجودنا لا يسع أحداً سواه، مع أن وجودنا ضعيف؛ لأن وجودنا من فيض الوجود الأصلي. فالموجود الأصلي، الذي هو قوي من كلّ الوجوه كيف يُجيز أن يسع في ساحته وإحاطته شيء آخر. فثبت أن الله واحد؛ لأنه هو الموجود الأصلي، وغيرُه من الموجودات، يستعير الوجود من ذاته.

الدليل الثاني: إذا كان هناك موجودان، فلا بدّ أن يتميّز أحدهما من الآخر. وإلاّ لمَا تتحقّق الإثنيّةُ. ويكون الشيء المميّز شيءاً آخر غير الوجود. فينبغي أن يوجد الموجود بالشيء الذي بسببه يتميّز بعضهما من الآخر بدون الوجود وهذا باطل؛ لأن الموجود لا يمكن أن يوجد بدون الوجود، ولزم هذا الباطل في صورة تسليم كون الموجودين. فثبت أن كون الموجودين باطل، بل هنا موجود واحد، وهو الله الصمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. هذا على ما أفهمني الله من كلام الإمام ، وتوضيح الشيخ عبد الحميد الصوفي[20] —.[21]

مسألة الرسالة:

من المسلّمات أن الله 1 خالقُنا، ومالكُنا جميعًا، ومطاعُنا. فلا بدّ من طلب رضاه، واجتناب عن سخطه. وهما لا يدركان بدون الإطلاع عليهما. ونحن البشر لن يطلع بعضنا على ما تكنّه قلوب بعضنا الأخرين، وإذا كان كذلك فكيف بنا فيما يتعلق بما في قلب الله، فلا نستطيع أن نطلع على ما يتعلق برضاه

([20]). وله أيضاً تعريب على هذا الكتاب. طبع سنة 1408هـ الموافق 1987م من إدارة النشر والإشاعة بالمدرسة نصرة العلوم/كوجرا نوالة، باكستان.

([21]). محمد ساجد القاسمي، تعريب حجة الإسلام للإمام محمد قاسم النانوتوي، اكاديمية شيخ الهند، الجامعة الإسلاميّة دار العلوم/ ديوبند، الطبعة الأولى: 2007م/1427هـ، ص27،28.

وسخطه، إلاّ بإطلاعه هو إيّانا عليه. فاختار الله 1 أشخاصاً يتولون تبليغ أحكامه، ورسالته عباده وهم الذين يسمّون رسلاً وأنبياءً.[22]

وهذه هي العقيدة توجد في الإسلام فقط، ولا توجد في الهندوس أصلاً. ويبطل كلّ شيء دونما هذه العقيدة. فإثبات الإمام هذه العقيدة ردٌّ على مذهب الهنادكة.

الردّ على اعتراضهم على حلة اللحم:

أوّلاً: إذا أصبْنا الحيوانات بسوءٍ من غير إذن الله، كان ظلماً بلا شكٍّ. وإن لم يَجُز ذبحُه بعد إذن من الله أيضاً، فذلك يدلّ على أنه 1 لا يملك تلك الحيونات، فلا يجوز له التصرف فيها. فالظلم في الحقيقة فيما إذا لم يجز للمالك أن يتصرف في ملكه.

ثانياً: إن كان الذبح حراماً بدليل أنّ فيه إيذاءَ الحيوانات؛ فالركوب، والحمل، وإستدرار اللبن يكون حراماً، لما فيه أيضاً هذه العلّة.

ثالثاً: وإن كانوا يرون أن الله 1 يملك الحيوانات، إلاّ أنه لم يكن يليق بشأنه أن يأذن للإنسان بذبحها. نقول أكل اللحم يجدر بالإنسان والحيوان كليهما. أما الإنسان؛ لأنّ اللحم مادة قريبة له بالنسبة إلى الأغذية الأخرىٰ. وأما الحيوانات فيجدر بها بحيث أنّ لحمه كان قواماً لـ ((الجسم الحيواني)) من قبل، وصار الآن قواماً لـ"الجسم الإنساني". فصار الآن مركباً للروح العالية، بعد أن كان مركباً للروح الحقير.

رابعاً: أنّ الإنسان قد أُعْطِيَ الأنيابَ كالأسد، والنَمِر، والذئب مما يشير إلى أن غذاءه الأصليّ هو اللحم. كما هو شأن هذه الحيوانات.

خامساً: نعم! كلّ لحم ليس بمفيد للإنسان؛ فراعىٰ الله 1 في أوامره ونواهيه مصالحَ عبادِه، ومضارهم. ولأجل ذلك: حرمت لحوم الخنزير، والسباع، والدم؛ لأنّ الخنزير نجس وقليل الحياء فلا يقلُّ الحياء والغيرة في آكليه، وتتنجس أرواحهم وقلوبهم، مما يؤلِّد فيهم الأفكار النجسة. وأما السباع من الحيوانات؛ لأجل سوء طباعها، فلا يتولد قسوة الطباع في آكليه. وأما الدم؛ فلأنه بمنزلة فضلات الإنسان كالبول والبراز. فكما لا يشكُّ أحدٌ في نجاسة البول والبراز، كذا لا ينبغي أن يشكَّ في نجاسة الدم.

---

[22]. أيضاً. ص14،13 تلخيصا: لخصه الشيخ مرغوب الرحمن-رحمه الله- في تقدمة هذا الكتاب

سادساً: وكذٰلك حرّم الميت؛ لأنّ الحيوان إذا مات من غير ذبح، يسري دمه في لحمه، فيتنجس لحمه بسراية النجاسة– أي الدم–. أما المذبوح، فيخرج الدم، بعد الذبح من الحلقوم. فحُلّ أكلُه.

سابعاً: إنّ الإنسان تبتني معتقداته الباطلة علىٰ نجاسة الأرواح، والروح تتنجَّس بنجاسة الجسم، والجسم تتنجّس من الدم المسفوح، وأما المذبوح طاهر عن هذه الأشياء.

ثامناً: وقد كان إنبات الحبوب، والثمار، والخضروات لصالح الإنسان واضحاً بيّناً. وأما خلق الحيوانات الأخرى أيضاً لنفع الإنسان، لكنّه كان أمراً خفيّاً. فإنبات النباتات هو إذن بجواز استعماله، وأما الحيوانات الأخرى، فمسّت الحاجة فيها إلى الإذن للانتفاع به.[23]

خلاصة ما في محاورات في الدين مما يتعلق بقضايا الهنادكة

من المعلوم أنّ معرض "معرفة الإلٰه" قد عقده قساوسة المسيحيين، مما يدلّ على أنها كان جلّ مهمّاتهم آنذك ضدّ الإسلام والمسلمين بالنسبة إلى المذاهب الأخرى. لذا اشتملت خطبات المحاضرين المسلمين في المعرض ثمّ هذا الكتاب، على الردّ على المسيحيّن أكثر من الردّ على الهنادكة، لكن الإمام أعدّ مقالةً جامعةً طبعت بعد في صورة كتاب، وألقى خطبةً وجيزةً مملوءةً بالعلوم والمعارف، مشتملة على صداقة الإسلام مع الردّ الجميل على اعتراضاتٍ أثيرت من قِبَل غير المسلمين. فأكثر الخطابة وإن كانت مشتملةً على الردّ على المسيحيّن إلا أن هناك ردود شافية على اعتراضات أساسية، أثارها الهنادكة حول الإسلام. وبعضها جاء في أول المقالة هذه.

أما الباقي، المذكور في الكتاب ((ميله خدا شناسي))، فيما يلي:

هذا الكتاب هو مَحْضَرُ المعرض الذي انعقد سنة 1876م، و1877م في مكان "تشاندافور" بمديرية "شاه جهان فور" بالهند. ففي هذا المعرض الثاني[24] جرت المكالمة عن خمس أسئلة، عرضت من قِبَل الهنادكة. وهي فيما يلي:

---

[23]. الشيخ أسعد الأسرائيلي، ہندوستانی غیر مسلموں کے اشکالات اور حضرت نانوی کے جوابات حیا–اعتراضات كافري الهند وردّ الإمام علىهم، ص207، 208. ساجد القاسمي، تعريب حجة الإسلام، ص150–168

[24]. أما الكلام على المعرض الأول، فقد مرّ آنفا.

1) بم خلق الله الكون ومتىٰ، ولماذا؟ 2) أ ذاتُ الله محيط بكلّ شيء أم لا؟. 3) آلله عادل، رحيم؟ إن كانت الإجابة بـ نعم، فكيف هو عادل ورحيم في وقت معًا؟. 4) ما الدليل على كون "الفيدا" "والإنجيل" و"القرآن" كلام الله؟. 5) ما النجاة وما السبيل إليه؟.[25]

خلاصة الردود على هذه الإشكالات

إنّ الإمام قد فصّل الكلام عليها، لا يسعُني أن نفصّل هنا، وإنما نلخّص ما قال الإمام في الردّ عليها.

الردّ على السوال الأول: إنّ هذا الاعتراض ذو أجزاء ثلاثة: 1) بم خلق الله الكون؟، 2) متي؟، 3) لماذا؟.

أما الأول: فقد عيّن الإمام النانوتوي – أوّلاً غرض الاعتراض، ثمّ ردّ عليه. وقال: إنّ غرض السوال هو من أيّ مادةٍ خَلَقَ الله العالَم؟

فمن المعلوم إن علاقة العالم بخالقه كعلاقة النور بالشمس، فإذا طلعت الشمسُ، أشرق العالم بنورها. وإذا غربت صَحِبَها النورُ، وأصبحت الأرض والسماء مظلمةً. كذلك توجد المخلوقات إذا أراد الله 1 إيجادها، وتَفْني إذا أراد الله 1 إفناءها.

فوجود المخلوقات مادّتها، وجود الله الذي يحيط بالكائنات ويشملها، كما أن الأشعة مادّتها نور الشمس. والفرق بين الوجودين أن وجود الله ذاتيٌّ، فيما أن وجود المخلوقات ليس من صُنع ذاته، بل هو مستعار من وجود الله 1.

أما الثاني: إنّ السوال بأنه متى خلق الله 1 العالم؟ سوالٌ ليس جديراً بالإستفهام من الوجهة الدينيّة.[26]

أما الثالث: إن الله 1 أَوْجَدَ العالـمَ كلّه لغرض منشود وهو مصلحة الإنسانية ، لا كما قال القسّ بأنه 1 خلق الخلق؛ لأنه أراد فقط، ولا غرض لخلقه. وذلك لأنّنا إذا نظرنا فيما بين السماء والأرض من أشياء شتّى، وجدناها لمصلحة الأنسان، ومنفعته مباشرةً كانت أو بواسطة؛ فالفرس لركوب الناس، وأما العلف أيضاً لمصلحة الناس بواسطة الفرس. لكن الإنسان لا يصلح لهذه الأشياء ولا ينفعها. وجملة القول أن الإنسان لا ينفع شيءاً مما بين السماء والأرض، وكلّ ما بين السماء والأرض من أشياء يصلح للإنسان، وينفعه. إذًا فإن

---

[25]. محمد ساجد القاسمي، تعريب ميله خدا شناسي [محاورات في الدين]، ص 99، 100

[26]. أيضاً، ص158-161

لم يكن الإنسان لمصلحة الله أيضاً، لم يكن شيء أشدّ عبثاً وضياعاً من الإنسان. إلا أن الإنسان- على مايتمتع به من العقل، والمزايا والحسن والجمال- كيف يكون عبثاً وضائعاً؟ فثبت أن الله 1 خلق كلّ العالم، لمصلحة الإنسان، وخلق الإنسان لمصلحة نفسه. وهي عبادة العباد، وإطاعتهم له. ولا يظهر به احتياجه 1 إلى عبادة الإنسان، بل هذا رحمة منه لهم، وشفقة. مثاله كمثل الطبيب الذي يرحم المريض ويشفق عليه، ويداويه لأجل تذلّله أمام الطبيب، وتواضعه له، فلا يحتاج الطبيب إليه أصلاً. إنما المحتاج هنا هو المريض، كذا هذا.[27]

لم يتمكن الردّ على الاعتراضات الثلثة، لضيق الوقت، نعم! توجد الردود عليها أيضاً في كتبه الأخرى. فالاعتراض الثاني ردّ عليه في كتابه "إنتصار الإسلام" وسيأتي خلاصة الردّ في نفس المقالة بعد-إن شاء الله تعالى-. والاعتراض الثالث في "تقرير دلبذير (المحاضرة الآسرة للقلب)" وغيره.

والرابع في كتابه الكلامي "جواب تركي به تركي (الجواب المفحم)".

الردّ على الخامس: ما النجاة وكيف الوصول إليها ؟

إن النجاة هي التفادي من غضب الله وعقابه، والسبيل إليها هو الاحتراز عن المعصية، والامتثال بالطاعة لا غير. وهذا يتوقّف على معرفة المعاصي والطاعات. والمعصية هي ما يكرهه الله، والطاعة ما يرضي بها الله، ولسْنا مما أن نطلع على ما يرضي به الربُّ، وما يكرهه هو. فاختار الله أشخاصاً، لتبليغ هذه الفريضة إلى البشر بعد أخذها عنه 1. ويقال لهم رسول ونبي.[28]

وجملة القول أن النجاة هي التفادي من غضب الله وعقابه، و سبيلها هوسبيلٌ أراه الأنبياء أمّتَهم في كلّ زمان. لكن سبيل النجاة الآن إلى أن يأتي أمر الله، هو سبيلٌ سلك فيه محمد-صلي الله تعإلى عليه وسلم-؛ لأنه نبي، لا نبي بعده.

اعتراضات الهنادكة في ركي وردّ الشيخ عليها ملخّصاً: خلاصة كتاب إنتصار الإسلام

الاعتراض الأول: يعتقد المسلمون أن الله قادر مطلقاً، أفيقدر على أن يسرق، ويضرب نفسه؟[29]

---

[27]. أيضاً، ص161-165

[28]. أيضاً، ص 181-184

[29]. محمد ساجد القاسمي، ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام، (اكاديمية شيخ الهند، الجامعة الإسلاميّة دار العلوم/ ديوبند، الطبعة الأولى 2011م/1432ه)، ص 40

الجواب الإلزامي: لا بد أن يسلّم بأنه 1 هو القادر المطلق؛ فإن لم يكن قادراً مطلقاً، يكون قادرا مقيدا بالضرورة، فوجب أن يكون فوقه من يكون قادراً مطلقاً، لأنه أجمع المناطقيّون على أن لكلّ مقيّد مطلقاً. ولما وُجِدَ القادر المطلق، وجب له أن يقدر على إماتة نفسه وإماتة الله–كما يقول البندت– فكان هو قادر على إماتة القادر المقيّد لازماً، وحينئذٍ لا يكون القادر المقيّد إلٰهاً، وكيف؟ وهو لا يملك وجود نفسه حتى يقدر غيرُه على سلب الوجود منه.

الجواب التحقيقي: من المعلوم أنّ لكلّ فعلٍ من فاعل (مؤثّر) ومفعول (منفعل)، إن كان كلّ منهما ذات صلاحية وقابلية، فيتصور تاثير الفاعل، وتأثّر المفعول ذلك التاثير، وإلاّ فلا.

ولا يلزم كون أحدهما ذات صلاحية، صلاحيةَ الآخر بأنه إن كان فاعلاً ذات صلاحيةٍ، لا يلزم كون المفعول كذلك، فمثلاً: أن الشمس فاعلة في إشراق الأرض والسماء، وأن المرآة–مقابل الشمس–منفعلة، فالشمس فاعلة كاملة التاثير، والمرآة منفعلة كاملة الانفعال. فإن كان بدلَ المرآة الحجرُ، كان منفعلاً ناقصَ القابلية. ففي كِلا الوجهين لا يؤدي نقصان قابلية المنفعل أو عدمها إلى نقصان إشراق الشمس وفعلها. فلمّا صارت هذه المقدمة ممهّدةً فاعلموا أن الله 1 قادر مطلق كما أن الشمسَ كاملُ القابلية، لكن المعفول–الممتنعات– لما لم تكن موجودة، صار كأن المرآة هي الغائبة، فكيف تظهر قدرة الله في هذه الحالة. وهذا من نقصان المفعول لا نقصان في الفاعل، فالسرقة، والزنا، والإماتة نفسه كلها لا تستطيع أن تصير محلاً لقبول تاثير الربّ، فهذه عارية عن المقدورية، لا أنه عار عن القادرية.[30]

الاعتراض الثاني: يعتقد المسلمون أن الشيطان يُزِلُّ الناس فيغريه بالمعاصي والأعمال السيّئة، ولكننا نسأل: من أزلَّ الشيطانَ؟ فهذه عقيدةٌ خاطئةٌ. إنّ الأنسان بدوره يرتكب أعمال السوء.[31]

الجواب الإلزامي: إن الارتياب والشكّ في وجود الشيطان وإزلاله وإضلاله لأجل أنه لا يوجد له من مُزِلّ ولا مُضِلّ، كالإرتياب في تسخين النارِ الماءَ بدليل أن النار لا يوجد له مسخّن، وفي إشراق الشمس الأرض بدليل أنّ الشمس لا يوجد لها مُشرق ومنوّر.[32] فإن كان الأمر هكذا، يلزم إنكار وجود النار والشمس

---

[30]. أيضاً، ص40. و الشيخ أسير أدروي، مولانا محمد قاسم نانوتوی: حیات اور کارنامے– الإمام النانوتوي: حياته و مآثره، ص215–216. ملتقط من هذين الكتابين.

[31]. أيضاً، ص 44

[32]. الإمام محمد قاسم النانوتوي، إنتصار الإسلام (بالأردية)، مكتبة دار العلوم/ ديوبند، ص 34–35

أيضاً على أنه لا يوجد أحدٌ يقول هذا، كذا يلزم به تخطئة تسخين النارِ الماءَ، وإشراق الشمسِ الأرضَ أيضاً، بناءً على هذا بل ويجب إنكار وجود الله واجب الوجود بدليل أنه ليس له خالق. فحينئذ يجوز أن يقال: أن المخلوقات جميعاً تخلق بدورها دونما خالقٍ كما أن الإنسان بدوره يقارف أعمال السيّئة.[33]

الجواب التحقيقي: من المعلوم أنّ لكلّ صفة مصدر ذاتي بأن يكون شيء موصوفاً بالذات ومصدر الصفة، فتكون له الصفة من صنع نفسه، وأما غيره فيستفيد منه في الصفة. مثلاً: أن النار حار بذاتها وهي مصدر الحرارة، والماء الحار وغيره، يستفيد منه في الحرارة. وكذا الشمس؛ فإنها مشرقة بذاتها، وهي مصدر النور، والأرض المشرقة. وأما غيرها فتستفيد منه في النور. وهذا الاصطلاح عبّر عنه الإمام 1 "إمتداد الصفات وانتشارها"، وخلاصته: أن الأشياء الكثيرة ذات القابلية تأخذ هذه الصفة من مصدر تلك الصفة.

هذا! إنّ الضلالة صفة من الصفات، وامتدادها —كذلك– يتم بأن يتصف واحد بصفة الضلالة لذاته، ومن عداه يأخذ منه هذه الضلالة وينخرط في سلك الضالين؛ فإنّ الموصوف بصفة الضلال بالذات هو الذي يسمّى بالشيطان ، ومن غيره من الضالين يأخذون منه صفة الضلال، فيضلون.[34]

الاعتراض الثالث: يعتقد المسلمون أنه يقع النسخ في أحكام الله 1، وهذا مما يخالف العقلَ؛ لأنه يدلّ على أنّ الله 1 أمر بأمر بلا تدبر، فلما رأىٰ فيه مفسدة، يأتي بغيره، فأوامره لا يساوي أوامر الناس، التي لا تنسخ ولا تتغيّر، فهي محكمة ثابتة.[35]

الجواب الإلزامي: إن النسخ في الأحكام يوافق العقل موافقة سائغة؛ لأنّ النسخ والتغيّر في الأحكام مثل التغير في إرادة الله 1؛ لأننا نري أنه يُحيي أحداً فيُميته، يمرض فلاناً، فيشفيه، وهذه الأفعال لم تتم إلاّ بإرادة الله 1، فثبت التغيير في إرادة الله. فلمّا اعترضتم في التغيير في الأحكام، فيرد الإشكال على التغيّر في إرادة الله، ولا إشكال لهم في هذا، فكيف يكون في النسخ؟[36]

---

[33]. محمد ساجد القاسمي، ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام ، بتغير يسير: ص 44

[34]. أيضاً، ص 45-46

[35]. أيضاً، ص 48. و النانوتوي، إنتصار الإسلام، ص 39، 40

[36]. محمد ساجد القاسمي، ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام، ص 48، و الشيخ أسير أدروي، **مولانا محمد قاسم نانوتوی ؒ: حيات اور كارنامے**– الإمام النانوتوي: حياته و مآثره، ص217، بترتيب من قبل العبد الضعيف.

الجواب التحقيقي: نعم! إنّ الحكم يبدّل لأجل الخطأ طوراً، ويبدّل الحكم بأسباب أخرىٰ أيضاً، مثل أنّ الطبيب يبدّل الوصفةَ بأخرىٰ، لتبدّل أحوال المريض أو لانتهاء مدَّة الدواء الأوّل، فإذا أصاب السرسام محموماً تبدل وصفته لتبدل أحواله، أو اذا انتهت مدّة دواء المنضج يبدّل لادواء المسهل. ويفهم من له خردلٌ مِنْ عقلٍ أن هذين التبديلين ليسا لأجل الإطلاع على الخطأ. فالنسخ والتبديل في أحكام الله 1 من هذا القبيل، لا من قبيل الإطلاع على الخطأ. إلا أن المعترض لا علم له بهاتين الصورتين أصلاً.[37]

الاعتراض الرابع: هذا الاعتراض مشتمل على ثلثة أجزاء: 1) من عقائد المسلمين أنّ الأرواح موجودة عند الله من قبل، فإذا أَمَرَ روحاً من الأرواح جاءت إلى الدنيا امتثالاً لأمره، ليس بصحيحة؛ لأن الله 1 قادر على الأرواح دائماً، يخلقها متى يشاء ويوجّهها إلى الدنيا.

2) والأرواح كلّها أربعة بلايين ونصف بليون، وبتسليم عقيدتكم يلزم وجود آلاف بلايين.

3) فيجري الجزاء والمكافاة عندنا عن طريق التناسخ.[38]

الجواب الإلزامي: لو كان خلق الله الروحَ قبل الإحتياج إليه، مما يعترض عليه، فخلقه الحبوب والفوكه في الفصل، ويستعمل حسب الحاجة طوال السنة. كذلك يعترض عليه، ولا يعترض أحدٌ منكم عليه، فكيف تعترضون على خلق الله الروح؟

Deoband Institute of Islamic Thought

وعن الثاني: أنّ القول عن تعداد الأرواح قول لا أصل له، فإنّ البَعوضَ، والحوام في قرية صغيرة كثيرة من تعداد الأرواح الذي قلتم.

وعن الثالث: أما عقيدة تناسخ الأرواح مردودة، لأن التناسخ عندكم عبارة عن الجزاء والمكافاة، فما أعجب هذا الجزاء والمكافاة! حيث لا يعلم الناس لماذا ينعم ، ويعاقبه.

الجواب التحقيقي: أوّلاً: إن جسم الإنسان والحيوان بمثابة مَرْكَب الروح، وإن أعضاء الجسم بمنزلة آلات الروح وجوارحها، وأفعال الجسم كالمشي والنطق والسماع والرؤية تصدر عن الروح بواسطة الأعضاء. وقوّة الروح هي التي تعتمل في هذه الأفعال. فقد يعرف من له أدنى نصيب من العقل بأن مبدأ الأفعال الاختيارية هي

---

(37). أيضاً، ص 49

(38). أيضاً، ص 50، النانوتوي، إنتصار الإسلام، ص 41، و الشيخ أسير أدروي، مولانا محمد قاسم نانوتوی: حیات اور کارنامے- الإمام النانوتوي: حياته و مآثره، ص217

الروح وقواها، ثم الأعضاء، ثم الأعمال المنشودة. فإن كان الأمر كذلك فالأرواح–التي هي بمثابة الراكب والعاجل–توجد اوّلاً، ثم يأتي خلق الجسم والأعضاء.

وعن الثاني: إن تعجب الباندت في وجود آلاف بلايين روحاً، أيضاً في موقع التعجب عندنا، لأنّ هذا العدد أصغر وأحقر أمام عظمة الله 1، لكنّ ضفادع البئر والبحيرة التي لا تدرك روعة المحيط الأعظم و سعته وعظمته. وحال الباندت كذلك.

وعن الثالث: إن عقيدة التناسخ مردودة؛ لأنّ أوّلاً لا يثبته أيُّ نوعٍ من الأدلّة: النقلي و العلقي، أما النقل؛ فلأنّه عندهم أربعة فيدات، ولم تذكر فيها عقيدة التناسخ، وإن سُلّم أنها توجد فيها، فلا نُسلِّم أنها من كتب الله 1 حتى يقال لها "نقل صحيح"؛ لأنّ فيها كلام لا يلائم شأن الباري 0 ،كالدعوة إلى عبادة غير الله. فلمّا ثبت عدم نقليتها فلا تُعرَض دليلاً.

وأما العقل؛ فلأنه لابدّ من العلم والشؤون الماضية للجزاء والمكافاة–لا سيّماً على ما يعتقده الهندوس؛ لأنّ الغرض منه عندهم أن يعمل الناس الصالحات ويجتنبون عن السيئات رغبةً في النجاة، وذلك لا يكون إلا بأن يكون المُنعَمون والمُعَذَّبون على علم بأحوالهم وأعمالهم الماضية التي نالوا جزاءها.

ولا يرد على عقيدة الإسلام؛ لأنّ الجزاء والمكافاة لدى المسلمين كثمن المبيع أو أجرة الأجير، والأعمال بمنزلة كيفية البيع والإجارة، فالغاية القُصوىٰ فيها الثمن و الأجر، لا كيفة انعاقدها، كذا هذا أنّ الجزاء والمكافاة هي الغاية، فمن ظفر بها فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن لا، فقد خسر خسراناً مبيناً. ولا حاجة له أن يتذكر تلك الأعمال.

(2) إنهم يُعبِّرون الراحة والأذىٰ من أركان التناسخ، فحصروا الراحة والأذىٰ في الجزاء والمكافاة، وهذا مما يوجب النقص في الله 1؛ لأنّ الإنسان–وهم من عبيده 0– فالراحة والأذي لديهم قد يكون على وجه التعليم، والتربية كما يكون على وجه السخاوة والمروّة والإصلاح والتزكية أيضاً. بينما أنّ هذان متى يكونان من قِبَل الله 1، يكونان على وجه الجزاء فقط، فلديهم وجوه من الكرم والرحمة والشفقة والأسوة والتربية، وأما عنده فليس شيء من هذه الوجوه، مع أنه رحيم، كريم، مجيب الدعوات، قاضي الحاجات، رب العالمين. وما توجد النقص في الله 0 لا يقبل أبداً.

(3) من المعلوم إنه 1 خَلَقَ كلّ ما في الدنيا لكي ينتفع به الناسُ، وإنّ الإنسان قد خلقوا لأن يعبدوه، فعلى الإنسان يلزم شيءان: أن ينتفع من المخلوقات الأخرى، وأن يعبدوه حقَّ العبادة، فالغرض الأساسي من وراء خلق الدنيا هو العبادة، وما يوجد فيها سواها، فهي وسائل وآلات للناس، تعاونهم على ما لأجله خلقوا وهو العبادة، فهي في حكم العبادة أيضاً، لكن إذا سلّمنا عقيدةَ التناسخ، يلزم كونها داخلةً في الجزاء والمكافاة، وقد أسلفنا أنها داخلةٌ في العبادة. يدرك من له عقل سليم بطلان هذا، وقد تقرر الأصل في المنطق : كلّ ما يستلزم الباطل، فهو باطل بنفسه. فهذه العقيدة باطلة أيضاً بحسب هذا الأصل؛ لأنه يستلزم الباطل. كما مرّ آنفًا.

(4) كلٌّ من المسلمين والهنادكة يسلّمون هذه الكلّية: أن الأشياء اذا بلغت منتهاها، جعل ترجع منه، وتتنزّل منه، ثمّ ترجع من حيث بلغت هي، بقطع المسافاة التي بين المبدأ والانتهاء، مثلاً: إذا رُمي الحجر إلى الفوق، فيبلغ إلى منتهاه حتى الاستطاع، ثمّ يرجع، فهو يرجع من حيث بلغها بقطع تلك المسافاة، ولا يتصور أن الحجر يعود من طريق تحتّ من غير عودته من طريقه الأوّل.

وهذا الإنسان –بدءًا من الطفولة انتهاءً إلى الموت– تعرض له أحوال مختلفة من الطفولة، والشبابة، والشيخوخة جسمًا و روحيًّا. وذلك عن طريق الحركة المتدرّجة. وهذه الحركة صاعديّة، فإن يريد أن يعود الإنسان من الدرجة التي بلغها، يكون أيضاً عن طريق الحركة المتدرّجة وتكون الحركة هابطيّة حينئذٍ من الشيخوخة، ثم الشبابة، ثم الطفولة.

لمّا لا حظنا التناسخ، لم نجده موافقاً للقاعدة المذكورة؛ لأنّ التناسخ عبارةٌ عن العودة من المنتهىٰ إلى المبدأ بدون الحركة الهابطيّة وقطع المسافاة، فالروح –وقت تسليم التناسخ– يعود مما بلغ إليه، في جسم آخر من غير قطع المسافاة التي بلغ إليها. وهذا مثل حجر رماه رجل، فبلغ ما بلغ فوقيّاً، ثم يأتي في يد الرامي غير عودته من طريق الفوق إلى التحت. وهذا من المحال، فعقيدة التناسخ أيضاً من المحال.

الاعتراض الخامس: يقول المسلمون إنّ من فَطَّرَ صائماً، ينال سبعين إمرأةً من الحور في الجنّة ثواباً على عمله هذا؛ فعلى هذا ينبغي أنها إن أفطرت أمرأةٌ صائماً تنال سبعين زوجاً في الجنة مثل الرجال؟

الجواب الإلزامي: لم يُذكَر في كتاب من كتب المسلمين أن من فطّر صائماً ينال سبعين امرأةً من الحور في الجنّة. نعم من المسلّم عندهم بأن الرجال يعطون–حسب مراتبهم– في الجنة بحور ذوات العدد، وأما النساء

فلا يحظين في الجنة إلا بأزواجهنّ؛ فكما أنه يجوز عند المسلمين في الدنيا أن يتزوج رجل من نساء متعدّدة، ولا يجوز لإمرأة أن تفعل كذا، فتجري هذه العادة في الجنة أيضاً. فلا إشكال. نعم! يبقى الاعتراض على تعددّ الأزواج في الدنيا. إلاّ أن علماءنا قد استوفوا على الموضوع إستيفاءً كاملاً.

الجواب التحقيقي: إن المرأة للأولاد بمثابة الأرض للمحصولات؛ إلاّ أن المحصولات تمكن قسمتها في عدّة فلاّحين؛ لتشابه أجزاء المحصولات وتساويها، لكن ما يحصل من المرأة –هو الأولاد– لا يقسم في عدّة آباء؛ لأنه يوجب قطع الولد قطعةً قطعةً إذا وُلِدَ لهم وَلَدٌ، أمّا إذا وُلِدَ أولاد كثيرون، لا يمكن التقسيم وقتئذٍ أيضاً؛ لأنه يحتمل في كلّ ولدٍ، أنه مِن ماء كلّ أبٍ، فيقع الخلاف بينهم، الذي يؤديهم إلى الفساد والنزاع.[39] ثمّ كلٌّ من الأزواج يستحق أن يقضي حاجته بها متى يشاء، وهذا أيضاً يؤدّي إلى النزاع والفساد؛ لاحتمال أنّهم احتاجوا جميعاً إلى قضاء شهواتهم في وقتٍ واحدٍ.

(2) من المعلوم أنّ الجنة مقامُ الإنعام، ويُعطى في الإنعام ما يكون مُوجبًا للراحة، والإعزاز، والتكريم، وأما العناء، والمشقة، والإهانة عبارة عن العقاب والتعذيب. فإن نالت امرأةٌ عدّةَ أزواج فليس في ذلك شيء من الراحة والسعادة؛ لأنّ الإسلام ينظر كلاً من الرجال والنساء مساويين في الحقوق، أما في باب الزواج جعلها تحت الرجال لبقاء نظام العالم، فالزوج مالكها، وهنّ مملوكة لهم. فكما يجوز للمالك أن يكون له عددٌ من العبيد والإماء، ولا يمكن أن يكون عبد لعدد من الرجال، إذ فيه لها أذية، ومشقة؛ لما مرّ، والجنة ليس مقام أذيةٍ، ولا مشقةٍ.[40]

الاعتراض السادس: إن من عقائد المسلمين أن الله 1 يغفر الذنوب بالتوبة. وهذا ليس بناءه على العدل والإنصاف، فينبغي أن يعاقب العاصي، كما ينعم المطيع. بل عقيدتنا صحيحة، لأننا نقول: إنه يعاقب على ذنوبه وينعم المطيع عن طريق التناسخ.[41]

---

[39]. محمد ساجد القاسمي، ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام، ص71-72 ، و الشيخ أسير أدروي، **مولانا محمد قاسم نانوتوی: حیات اور کارنامے**- الإمام النانوتوي: حياته و مآثره، ص221

[40]. أيضاً،ص 73-72. و أيضاً، ص221

[41]. النانوتوي، إنتصار الإسلام، ص77، و الشيخ أسير أدروي، **مولانا محمد قاسم نانوتوی: حیات اور کارنامے**- الإمام النانوتوي: حياته و مآثره، ص 222

الجواب الإلزامي: قد ورد هذا أيضاً في كتابكم المقدّسة لديكم، كما في "أثروا فيد": ((تمحّي الذنوب لذكر الله)) والتوبة أيضاً من الذكر.[42] وفي "المهابهارتا"- أحد الكتب الدينيّة لديهم-: ((من ارتكب ذنباً، ثم ندم عليه، ويسرع إلى ما تداركه، غُفِر له ذنبه)) والتوبة أيضاً عبارةٌ عن الندامة.[43]

الجواب التحقيقي: مَنعُ أحدٍ حقَّ غيرِه أو أخذ حاكمٍ حقّاً لصاحبه ظلمٌ، وإعفاء الله عبادَه من حقّه، لا لحقّهم فليس هو بظلمٍ، إنما هو فضل منه على عبده، إلاّ أنّه يُعطِي هذا الفضلَ لمن له قابلية، والكفار لا يناله لعدم القابلية فيه؛ لأنّه لا يحصل هذا بالتوبة فقط، بل يشترط له التوبة في حالة الإيمان.[44]

الاعتراض السابع: إنّ المسلمين يأكلون اللحم بعد تحليله بالدعاء، فإن كانت حلّته من أجل ذلك الدعاء، فينبغي أن يكون كلّ حيوان حلالاً، حين يُقرأ عليه الدعاء، وإن كانت بسبب موت ذلك الحيوان، فينبغي أن يأكل كلّ حيوان ميت؟ لكن المسلمين لا يأكلون كلّ حيوانٍ، ولا ميتاً.[45]

الجواب الإلزامي: إنّ قول الهنادكة"كلّ حيوان يكون حلالاً بقراءة الدعاء فقط" خطأٌ؛ لأنّ الدعاء وقت الذبح بمنزلة الإذن من الربّ، فنسألهم الآن، أيحلّ شيء بإذن صاحبه فقط؟ فإن حلّ بالإذن، لزم أن يحلّ كلّ ما يملكه من البقرة، والخنزير، وما في بيته من البول، والبراز حتى زوجته، ولو كانت هي أمه-أمّ المستذان-.[46] على أنّ الاعتراض يرد عليهم-الهنادكة- أيضاً؛ لأنّه جاء في "مهابهارتا": الحيوانات التي قرئ عليها كتاب "الفيد" عند ذبحها، فلحومها حلال، فمن أكلها فهو في عداد الذين عفّوا عن أكلها، والحيوانات التي لم يقرأ "الفيد" عند ذبحها، لا يحلّ أكل لحومها.

فيرد على هذه أيحل أكلُ كلِّ حيوان بمجرد قراءة الفيد، إن كان حلالاً، فكيف اختص "أسرب بنكدركه الفيدا" الحيوانات ذوات الأسنان السفلىٰ دون العليا بالحلّة والتغذية؟ وإن لم تحل بقراءة فلماذا حرّمت الميتة؟ فما هو جوابكم، فهو جوابنا أيضاً.[47]

---

[42]. ساجد القاسمي، ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام، ص 78

[43]. النانوتوي، إنتصار الإسلام، ص 78

[44]. أيضاً، ص 81. و الشيخ أسير أدروي، **مولانا محمد قاسم نانوتوی: حیات اور کارنامے**- الإمام النانوتوي: حياته و مآثره، ص222

[45]. النانوتوي، إنتصار الإسلام، ص82

46. أيضاً. ص82، بترتيب.

[47]. ساجد القاسمي، ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام، ص82 بالتغير

الجواب التحقيقي: من الملاحظة أنّ لتحقق تاثير شيء في آخر، لابدّ من مؤثِّر و متأثِّر قابل وصالح لقبول تأثير المؤثِّر. فإنِ انْعدم المؤثر إبتداءً، لم يوجد التاثير، وإنِ انْعدم المتأثر، لم يظهر التاثير وإن يوجد التاثير، فمثلاً أنّ المرآة تتنوّر بالشمس، والعدسة المحدّبة تتداخلها الأشعة الحمراء للشمس. ففي هذين الشيءين: المؤثِّر هو الشمس، والمرآة والعدسة المحدّبة هي المتأثرة. فإن لم تكن الشمس في جانب المؤثِّر، انعدمت النورانية في المرآة، والحرارة في العدسة. فإن لم تكن المرآة والعداسة المحدّبة في جانب المتأثر والقابل، لم تظهر النوانيّة والحرارة.[48] ولا ينقص كمال التاثير للشمس بهذا السبب.[49]

فالتكبير–ذكر الله 1– مؤثِّر والحيوانات المشروعة متأثرة وقابلة، فإن انعدم المؤثّر أو كان شيء آخر بدل ذكر الله 0 في جانب المؤثِّر، لم تأت الحلّة أصلاً، وإنِ انعدم القابل والمتأثر أو كان حيوان آخر سوي الحيوانات المشروعة، لم تأت الحلة كذلك. فلا ينقض بهذا السبب كمالُ التاثير لذكر الله 1.[50]

الاعتراض الثامن: يقول المسلمون: إنّ الخمر حرام في الدنيا، وهو في الجنة حلال، يكون فيها أنهارٌ من الخمر. ومن الغريب أنه ما حرّم في الدنيا، أحلّ في الجنة. ثم إن كانت في الجنة أنهار من الخمر فما طولها وعرضها وأين منبعها؟، ثم إمّا أنها جاريةٌ، فمن أين إلى أين؟ وإما راكدةٌ، فلماذا لا تصير عفنةً آسنةً؟.[51]

الجواب الإلزامي: أوّلاً نعترضكم على أنه جاء في "الفيدات" بأنّ في الجنة حوض الخمر والنهران، فاعتراضكم علينا يرجع على مذهبكم، بأنه يمكن لنا أن نسألكم: وما طولها وعرضها، وأين منبعها؟ فهي إما جارية فمن أين إلى أين؟ وإما راكدة، فلماذا لا تكون عفنة، آسنة؟ ففا هو جوابكم فهو جوابنا. فإن قيل: لا يمكننا أن نعلم هذه الأشياء بدون الذهاب إلى الجنة، فكيف السوال؟ نقول: فاخبرونا عن خندق "روار" وطول نهر "برجا"، وعرضه، وجهة جريانه؛ لأنهما–كما في "الركهه فيد"– خارج الجنة؟ فإن تستطع هذا، فاخبرونا عن أبعاد أنهار الدنيا، وجداولها، وشلاّلاتها، وبحيراتها بل أبعاد ومنابع أنهار الهند وجداولها وبحيراتها؟.[52]

---

[48]. أيضاً، ص 83 بالتغير

[49]. النانوتوي، إنتصار الإسلام، ص84

[50]. ساجد القاسمي، ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام، ص83

[51]. أيضاً، ص84

[52]. أيضاً، ص85. وفي ضوء ما في إنتصار الإسلام للنانوتوي، ص86

ثانياً: جاء في الفصل الأول لـ "مها بهارتا": ((كانت الخمر حلالاً للبراهمة في غابر الزمان، فلما قتل "كنس"، حرّمها من ذلك الوقت على البراهمة أستاذُه "سكر ديوتا".))

فالآن نشأ الاحتمالان: 1) أنّ البراهمة يدخلون الجنة، أم لا؟ فإن لم يدخلوا الجنة بسبب الخمر؟ كيف هذا دين، لا يدخل أهله الجنة بسبب الخمر فقط، فعليكم أن تنتهوا عن مثل هذا الدين. وإن يدخلوا الجنة بعد حرمة الخمر أيضاً، فهذا ينبأ بأنه حلال في الجنة، فنسألكم حينئذ كيف أحلّ شيء في الجنة، كان حراماً في الدنيا؟.[53]

الجواب التحقيقي: أوّلاً: إن يشترط معرفة أبعاد الأنهار، ومنابعها، لصحّة الإعتقاد بوجودها، لا يوجد في الدنيا أحد من هو معتقد بوجودها؛ لأنّ معرفة أبعاد الأنهار، ومنابعها، وطولها، وعرضها محال، فإذا فات الشرط – المعرفة بأبعاد الأنهار، ومنابعها–، يفوت المشروط–الإيمان بوجود الأنهار– لا محالة. وهذا خلف.

وأما الخمور في أنهار الجنة لا تتعفّن؛ لأنها إمّا جارية أم غير جارية، فإن كانت جارية، فلا إشكال أيضاً عندهم، وأما في غير هذه الصورة، نقول: إن المائعات لا تتعفن بفضل قدرة الله 1. فأجيبوا: أتنقص قدرة الله 1 في الجنة، حتى يلزم فساد وتعفّن الخمور فيها لركودها وهدوئها؟.

ثانياً: إنّ أنهار الخمور في الجنة لا يختلط بالأشياء، التي في حقيقته مادة متعفّنة، فتؤدّي إلى تعفّنها وفسادها؛ لأنه لا يكون فيه غذاء فيه مادة متعفّنة؛ لأنّ أغذية الجنة كلّها كالبخار الذي يُولده الدم المتصاعد إلى القلب، فإن جمد هذا البخار كما يجمد الماء، فأُكل، لا يؤلد هذا البخار فضلةً.[54]

ولو فرضنا أن أرض الجنة مصنوعةٌ من مثل هذه المادة، فكان كلّ ما عليها من الحيوانات، والنباتات، والجمادات منزهة عن الفضلات؛ فلا يفسد فيها شيء ولا يتعفّن.[55]

ثالثاً: أن علّة حرمة الخمر هي السكر، ولما كان السكر في الخمر قائماً بالغير، ممكن الزوال عنها، ففيما إذا زال السكر عنها بقيت شراباً فيه لذة لا غير، ومن الطبيعي أن الشارب لا يشرب الخمر إلا استمتاعًا باللذة،

---

[53]. أيضاً، ص85-86 بعد الترتيب.

[54]. النانوتوي، إنتصار الإسلام: ص 89، بعد الترتيب

[55]. ساجد القاسمي، ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام، ص87-88 بعد الترتيب

لا جلباً للسّكر، وقد نصّ القرآن الكريم على أن خمور الجنة فيها لذّة لا سكر مما يسبّب النهي عنها[56]، حيث قال 0: ((يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ.))[57]

على أنّ المسكرات قد جاء النهي عنها في الدنيا مخافةَ الإخلال بامتثال أوامر الله 1، وإنما هذه المخاوف في حياة الدنيا، أما بعد الموت فقد يسقط التكليف في الجنة فلا فرض فيها ولا واجب؛ فأيُّ بأس إذا جاز شرب الخمر في الجنة؟.[58]

الاعتراض التاسع: السلمون ينجّسون الأرض بدفن الموتى فيها؛ فإحراقهم أولى وأحسن.[59]

الجواب الإلزامي: إنّ الدفن يختلط باطن الأرض، فغاية ما يعترض على المسلمين أنهم ينجّسون باطن الأرض على قولكم و أنتم –الهندوس– تعفّنون الجوَّ بإحراق الموتى، مما يسبّب الأمراض؛ فدفنهم أولى وأحسن.

الجواب التحقيقي: أولاً: لا يصح اعتراضكم؛ لأنّه معلوم أن الحياة والموت ليسا مما يملكه الإنسان ولا اختيار له فيهما.[60] فلا تبعة على الإنسان فيما إذا دفن الميّت في الأرض أو ألقي في الخلاء، او أحرق بالنار أو انفسخ في الماء؛ فلا نُسأل–نحن الإنسان– "لماذا نجّستم هذه الأشياء الطاهرة بالميّت ولماذا عفّنتم إيّاها به؟". إلا أننا نختار تدفين الميّت من أشتات هذه الصور المذكورة؛ لأنّ فيه فائدة، ليست في غيره، وليس فيه شيءٌ من نقصٍ، فيما في غيرها نقصانات، مثلاً: إن إلقاءه في الماء أو الخلاء، يُعَفّنُ الجوّ، وأساء المنظر، وأثار القذارة الشديدة. وأما إحراقه بالنار، يؤدي إلى فساد الماء، وانتشار الأمراض. ثمّ أن الحرارة في صورة الإحراق تضرّ القوّة النامية للأرض، كما أنّ دفن الميّت يقوي هذه القوة. لأجل هذا تُرىٰ مقابر المسلمين وما حولها ذات خضرة وخصوبة ونماء. كيف لا؟ إنّ فضلات الإنسان تزيد الأرض خصوبةً ونماءً، فجسمه يزيدها بالطريقة الأولى. ولا تنبت الأماكن التي تحرق فيها الهندوس موتاهم نباتاً ولا خضرةً.[61]

([56]). أيضاً، ص87–88 بعد الترتيب

[57]. سورة الطور: 23

[58]. ساجد القاسمي، ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام، ص89 بعد الترتيب

[59]. أيضاً، ص 90

[60]. أيضاً، ص 90

[61]. أيضاً، ص 94،95

ثانياً: أنّ الأب الرؤوف إذا سافر، أوصى إبنه إلى أمّه الحنون لا إلى ضرّة أمّه. وهنا أن الروح للجسم بمثابة المُشرف والولي؛ لأنها تُشرف عليه، وتراقبه، والأرض له كالأمّ الحنون؛ لأنه خُلق من ترابها، والنار كضرّة أمّه؛ لأنها مخالف له، كما تكون ضرّة الأمّ، مخالفة لها. فإذا سافرت الروح عند الموت إلى العالم العلوي، وسُلّم الجسم إلى النار، فكأنما سلّم إلى ضرة الأمّ.[62]

ثالثاً: إذا اختلطت شاةُ رجلٍ إلى شياه أخرىٰ، فعلى صاحب الشياه أن يردَّ تلك الشاة إلى صاحبها. هنا أيضاً أن جسم الميّت للأرض، ففي صورة التدفين يُردّ الميّت إلى ما هو له، فيختلط كلّ مادة كانت في الإنسان، بمادة جنسها. وإن أحرق،لا يحصل شيء من هذه الفوائد.[63]

رابعاً: إنّ المحبة فيما بين الأقارب أمرٌ ظاهرٌ، ولذا لا يرضون بمفارقة أحدهم، لكن إذا لزمت المفارقة، فتَؤدّون أن يكون المحبوب بكلّ خير وعافية. هنا أن مفارقة الميّت لازمة لامحالة، فتقتضي تلك المحبة أن يُغسل، ويُلبس، ويُوضع في مكان ذا سكونة، ولا تقتضي أن يحرق البتة.[64]

الاعتراض العاشر: من عقائد الإسلام أن الإنسان يسجن بعد موته في سجن القبر إلى يوم القيامة، ثم ينال الثواب أو العذاب بعد المحاسبة يوم القيامة، هذه عقيدة باطلة؛ لأنّ الحبس من غير المحاسبة في القبر يعارض العدل كلَّ المعارضة، فالصحيح أنه يثاب أو يعاقب عن طريق التناسخ بعد موته متصلاً.[65]

An Islamic Think-tank
Deoband Institute of Islamic Thought

الفائدة: أن منشأ السوال في طريقة الثواب والعقاب لدى المسلمين، لا عقيدة مطلق الثواب والعقاب.

فخلاصة الاعتراض: أن عقيدة المسلمين في الثواب والعقاب خاطئة، والصحيح كما قلنا-الهنادكة-.

الجواب الإلزامي: فإن كان هذا التاخير مخالفاً للعدل، ففي المدّة التي تكون قبل الموت والتناسخ تاخير أيضاً؛ لأنّ بين إرتكاب الإطاعة والمعصية وبين الموت وقتٌ. فكان ينبغي أن يكون هذا أيضاً مخالفاً للعدل. ولا تقولون هكذا.

الجواب التحقيقي: مذهبنا في طريقة الثواب والعقاب معقول؛ لأنه أوّلاً: إنّ الأشياء التي تتركب من أجزاء ذوات أغراض مختلفة، تقطع وتكسر وتفرّق أجزاءه آخر الأمر؛ فيَصِلُ كلّ جزءٍ إلى موضعه الملائم به،

---

[62]. أيضاً، ص 95، و النانوتوين إنتصار الإسلام: ص101

[63]. بإفادة ما في ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام: ص 95، 96

[64]. أيضاً، ص96، 97، بتلخيص.

[65]. النانوتوي، إنتصار الإسلام: ص 103

ويُستخدم فيما يليق بشأنه. ثمَّ إذا تأمّلنا في هذا العالم –عالم الأجسام–، وجدنا أنه مركب من أجزاء ذوات أغراض مختلفة أيضاً. فالأصول المذكور يقتضي أن يهدم هذا العالم في يوم من الأيّام، وتفرّق أجزاءه حتى تصل أجزاءه إلى موقعها اللائق بها. ومن أجزاءه المحسنون، والمسيئون، وموقع المحسنين، النعيم، وموضع المسيئين، الجحيم. فوصولهم إلى موضعهم الذي يليق بهم، يسمّى بالثواب والعذاب.

ثانياً: إذا ألقينا نظرنا على العالم بأسره، فوجدناه يشبه الجسم الإنساني أو الحيوان، فكما أن الجسم له عينان، وأذنان، ويدان وأعضاء أخرى، فكذا العالم فيه أرض، وسماء وأشياء أخرى.

كما أنه إذا تغير مزاج الأنسان بغلب خلط من الأخلاط الأربعة، يسمي مرضا. وإن فارقت الروح لأجله الجسمَ، يعبّر عنه بالموت. فكذا العالم إذا تغيّر تركيبه الأصلي بتغيّر أركانه التي لها دخلٌ في تركيب العالم، –ومن ركنه العدلُ بين الناس، والمنعُ عن الشهوات– وظهرت عليه حالةٌ جديدةٌ، فهو شرط من أشراط الساعة، وإن فارقت الروح الأعظم من مجموعة العالم، يسمّى بقيام الساعة.

كما أن الجسم الإنساني تتفرق أجزاءه بعد الموت، كذا يجب أن تتفرق أجزاء العالم بعد مفارقة الروح العظمىٰ إيّاه. كما أن كلّ جزء من أجزاء الجسم الإنساني، يصل بعد تفرّقها، إلى الطبقة التي تليق بها، كذا يلزم أن يصل كلّ جزء من أجزاء العالم بعد تفرّقها إلى طبقته؛ فدخول المحسنين الجنّةَ، والمسيئين النارَ، يسمّى الثواب والعذاب.

ثالثاً: من المعلوم أن التاخير في أداء حقّ الغير ظلمٌ، والتاخير في أخذ الحقّ من الغير مستحسن.[66] فيبدو أنّ مكافاة الإطاعة مثل الأوّل؛ لأنّ وجب الثواب بالإطاعة، فالثواب حقّه، ومكافاة المعصية مثل الثاني؛ لأنه أفسد حقّ الغير–الله 1–. أما الأوّل –التاخير في أداء حقّ الغير– أولاً ليس هو حقّه في الحقيقة؛ لأنه لما أمره الله بامتثال ذلك الأمر، وجب عليه أن يفعله، فإن فعل، كفّ نفسه عن العذاب، وإلاّ يُعذَّبُ. فليس على الله أن يثاب على هذا، نعم، إن يُثِبْه، فهو من إنعامه 0.

فجمع الكلام: أن التاخير في أداء حقّ الغير ظلمٌ، وهذا ليس بحقّ واجب، فالتاخير فيه ليس بظلم.

رابعاً: كما أن نزوَ الحمام يولّد البيضة، ثم يخرج منها الفرخ، وهو يصير في يوم من الأيّام حمامةً. فالابتداء هو النزو، الذي هو من قبيل الأوصاف والمعاني، والانتهاء هو ظهور تلك المعاني في صورة الحمامة. فكذا أنّ

---

[66] . ساجد القاسمي، ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام، ص 101

هذا العالم ما زال في نشوٍ ونموٍّ، الذي هو من قبيل المعاني والأوصاف، وفيما نري هذا العالم في صور مختلفة، مظاهرة تلك المعاني، فينبغي أن تظهر تلك المعاني في صورة غير صور، نراها. هذا هو يوم الساعة.[67]

خامساً: إن بني آدم كلّهم رعيّة، والله حاكمهم، كما أنّ حاكم الدنيا يعاقب من خرج عليه، بأنواع العذاب، كذا يأخذ الله من يعصي أمره. وهذه- عصيان أوامر الله 1-، والثورة ضدّه، تزداد يوماً فيوماً، حتى يأتيَ زمان لا يبقي إلا من يعصي أمره، و يثور ضده، إذًا فيُأخذ كلّ العالم بأن يخربه، ثم يجازيهم بما يناسبهم.[68]

خلاصة الكتاب "قبلة نما" (الموجهة إلى القبلة)

من الملاحظة أنّ الإمام ردّ على الاعتراض الآتي ردّاً بليغاً مستقلاً، حتى صارت تلك الردود كتاباً تبلغ صفحاته إلى أربع ومأة صفحات. وهو في الحقيقة الجزء الثاني لـ"انتصار الإسلام".[69] وخلاصة ما في نفس الكتاب فيما يلي:

الاعتراض الحادي عشر: يزعم المسلمون أنّ الهندوس وثنيّين، وهم أنفسهم يسجدون-الكعبة- فيه أحجار كثيرة، فنجيب المسلمين بما يجيبوننا. فالمسلمون أيضاً وثنيّين؟

الجواب الإلزامي: أوّلاً إنّ اعتراضكم ليس بصحيح؛ لأنّ بين استقبال الكعبة، والوثنيّة بونٌ شاسعٌ. فتذكر هنا الآن سبعة فروق.

Deoband Institute of Islamic Thought

الأوّل: أن الاستقبال عبارةٌ عن التوجه إلى الكعبة، فيما أنّ الوثنية عبارةٌ عن إتخاذ الأوثان والأصنام آلهة.

الثاني: إن المسلمين يتّجهون في الصلاة فقط، ولا ينوي لكذلك، فضلاً عن أن ينويَ لعبادته، وإنما تجب نية عبادة الله 1؛ مما يتضح أنّ المسلمين يعبدون الله 0 ولا يعبدون الكعبة. أما الهنادكة فيشترطون نيّة عبادة الأصنام، والأوثان. فافترقا.[70]

---

[67]. خلاصة ما في إنتصار الإسلام النانوتوي،ص 35-40

[68]. خلاصة مضمون ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام، ساجد القاسمي، ص110، 111 ، الشيخ أسير أدروي، مولانا محمد قاسم نانوتوی: حیات اور کارنامے- الإمام النانوتوي: حياته و مآثره-، ص228

[69]. الشيخ أسير أدروي، مولانا محمد قاسم نانوتوی: حیات اور کارنامے- الإمام النانوتوي: حياته و مآثره-، ص399. طبع هذا الكتاب من اكاديمية شيخ الهند في مجموعة رسائل سبعة، وصفحات الكتاب تبلغ إلى 232 صفحات وفق هذه الطبعة الجديدة.

[70]. ساجد القاسمي، ردود على اعتراضات موجهة إلى الإسلام، ص 116

الثالث: ليس في الصلاة بأسرها كلمة تشعر بتعظيم الله 1. إنما تشتمل على إظهار عظمة الله 0 وكبرياءه، مع الإقرار بعجزه وذلّه أمامه 1؛ ولا تذكر فيه الكعبة أصلاً. أما عبادة الأصنام تشتمل على عظمة الأوثان والأصنام، والاعتراف بعجزه وذلّه أمامها. فأين عبادة الأصنام من الصلاة؟[71]

الرابع: لا يشترط في الصلاة إصابة جدران الكعبة؛ بل يكفي بجهتها، حتى لو هدم جدران الكعبة، تقام الصلام إلى جهة الكعبة، كما وقع في عهد عبد الله بن الزبير Δ. وأما عبادة الأوثان فالمطلوب فيها هي الأوثان والأصنام، والدليل على ماقلنا: أنه إن اخرجت الآلهة المصنوعة من معبد إلى مكان آخر، يتركون المعبد الأوّل، ويعبدون في المعبد الجديد.

الخامس: إن المسلمين ينسبون الكعبة إلى الله، ويقولون: أنها بيت الله، لا يطلقون عليها لفظ الإلٰه أو الله، والهنادكة يطلقون على الأصنام الإلٰه، ويقولون: أنّ هذا الصنم "مهاديو"، وذلك "فشنو" و ما إلى ذلك.

السادس: إنما يستحق العبادة عند المسلمين من كان موجوداً بذاته، مالكاً للنفع والضرر، وما سواه، يحتاج إلى الوجود المستعار من وجوده. فالكعبة ليست متصفة بهذه الصفة، حتى أن يعبدها المسلمون.

السبع: إن الاستقبال، حكم الله 1، والوثنيّة ليست بحكم الله، فكيف تشابه هذه ذاك؟

الجواب التحقيقي: أننا لا نعتقد أن الكعبة معبودنا، بل نعتقد أنها مهبط تجلّيات ربّنا. المسجود هو التجلي، والكعبة مجسود إليها فقط لا غير.[72]

خلا صة ما في جواب تركي به تركي (الجواب المفحم) :الاعتراضات في ميروت والردّ عليها

هذا الكتاب صنّف في الردّ على اعتراضات، أثيرت من قِبَل مجلّةِ أنند لال المسمى "أرية سماجار"، تصدر من ميروت، وكان رئيسها دياننند سرسوتي، وكان يسكن هنا. فأراد أن يثير الاعتراضات ضدّ الإسلام بألفاظٍ شديدٍ، بعد أن غُلب في كلّ معركة خلاف الإسلام. فأراد الإمام أن يجيب عن هذه الاعتراضات، حتى تتم الحجّة على الهنادكة. وكان آنذاك في آخر الأيّام من حياته، فرغم ضعفه وعلالته عزم على هذا الأمر الخطير،

---

[71]. الشيخ أسير أدروي، مولانا محمد قاسم نانوتوی: حيات اور كارنامے- الإمام النانوتوي: حياته و مآثره-، ص228

[72]. أيضاً، ص231

فكان يقول الردود، ويُرتِّب الشيخ عبد العلى ما قاله الإمام النانوتوي I.[73] وصفحات الكتاب تبلغ إلى خمس وثمانين صفحة وفق نسخة طبعت عن أكاديمية شيخ الهند.[74]

ويصعب بيان اقتباسات الكتاب؛ لأنّ مضامينه مربوطٌ بعضُها ببعضٍ. نعم! أريد أن أعرض فهارس جميع المضامين التي كتب الإمام – عليها في نفس الكتاب.

فمن المباحث الكليّة: مبحث وجود الباري، بيان ذات الباري وصفاته، بيان علمه 1، وإرادته 1، وقدرته 1. الرد على تعدّد القدماء، قدامة المادة.[75]

ومن الردود على اعتراضات الهنادكة:

1) الرد على الاعتراض على قدرة الله المطلقة.
2) ,, ,, عن زلّة الشيطان.
3) ,, ,, بإثبات التساوي بين عامة المخلوقات وبين سيدنا محمد.
4) ,, ,, بسم الله الرحمن الرحيم
5) ,, ,, الجهاد، الفيء، والغنيمة.
6) ,, ,, على إجازة المجامعة مع النساء في القرآن
7) ,, ,, وجود تخالف المضامين في القرآن
8) ,, ,, نظام الاسترقاق
9) ,, ,, على وجود أنهار النحل، و اللبن في الجنة
10) ,, ,, تمثّل الملائكة في صورة البشر، شق القمر.
11) ,, ,, مناسك الحج
12) ,, ,, بأن نزول القرآن على وفق ما يرضاه محمد.

معهد الفكر الإسلامي ديوبند
Deoband Institute of Islamic Thought
An Islamic Think-tank

---

[73]. الشيخ أسير أدروي، مولانا محمد قاسم نانوتوی: حيات اور كارنامے- الإمام النانوتوي: حياته و مآثره-، ص 397، 398

[74]. هي شعبة من شعب الجامعة الإسلاميّة دار العلوم/ ديوبند، الهند.

[75]. الشيخ أسير أدروي، مولانا محمد قاسم نانوتوی: حيات اور كارنامے- الإمام النانوتوي: حياته و مآثره-، ص398، 399

خلاصة المقالة، والنتائج التي حصلت منها

فخلاصة هذا البحث: أن الإسلام آنذاك ما زال مواجهاً لغارات ومهاجماتٍ شديدةٍ من قِبَل الهنادكة، لا سيماً ديانند سرسوتي ومذهبه الحديث كان يصول على الإسلام والمسلمين بأسلحة الشبهات التي أثيرت على عقائد الإسلام، وفروعها. وكان يشقّ هذا على المسلمين؛ لأنّ اعتراضاته كانت جديدة، لم يواجهها أحدٌ من السلف. فالإمام النانوتوي – سبق إلى الميدان، وردّ على شبهاتهم الواهية، وأفحمهم إلى يوم القيامة. فناظر معهم، وحاضر محاضرات، فدافع بها عن الإسلام، وكتب عدة كتب، يتعلق بقضاياهم. حتى أتمّ حجة الله عليهم كما شاء الله 1 وأراد.

وحاول الباحث أن يحيط جميع جوانب هذا العنوان، فأوّلاً وضّح الموضوع بأنه عرّف الإمام النانوتوي –، وألقى ضوءاً على نشاطات الهنادكة آنذاك، ثمّ قال أنه كان جلّ هممهم إثارة الشبهات حول التعليمات الإسلاميّة، وكان هذا هو طريق الجهاد بين الهنادكة والمسلمين وقتئذٍ، ثمّ تعرّض الكاتب على إسهامات الإمام النانوتوي – في هذا المجال، فذكر أنواع ردّه على الهنادكة من الردّ الخطابي، والكتابي وما إلى ذلك، ثمّ فصّل على كلّ منها، وأخيراً وجّه الباحث إلى تلخيص كتبه – التي صنّفت في هذا الصدد، وهذا هو روح المقالة هذه.

An Islamic Think-tank
Deoband Institute of Islamic Thought

أما النتائج التي تحصل من هذه المقالة هي:

1- نتعلم من خلال هذه المقالة أن لا ينبغي لنا أن نطرق رؤوسنا أمام الباطل، بل علينا أن نبارز ضدّه، ولا نصالح معه حتى يرجع عن طريقه الباطل، كما أن إمامنا النانوتوي – لا يتحمّل أيّ باطل وُجِدَ في زمنه – سواء كان ظلم المسيحيّين، أو اعتداء الهندوس، أو وسواس اللاّمذهبيّين، أو فتنة الشيعيّين، فبارز مع كلّ منهم بكلّ وسعة وطاقة، وعلّمنا الدرس السابق.

2- ومن جمع اعتراضات الهنادكة وردّ الإمام عليها فهمنا كيف نعامل خصوصا مع الهنادكة في المبارزة الخطابيّة والكتابيّة، وعموماً مع سائر الفرق الضالّة والمغضوب عليها.

3- ومن مجموع هذه المقالة أدركنا أن المنهج الذي اختار الإمام النانوتوي – في أسلوب الدعوة – الذي اشتهر بالحكمة القاسميّة – هو منهج خاص أوجده الإمام نفسه بعون الله 1، فإن نحصل عليه، لسَهُلَ علينا المكافحة والمدافعة عن الدين الحنيف مع الفرق الباطلة كلّها إن شاء الله تعالىٰ.

فالواجب نحو جميع المنتسبين إلى المسلك الديوبندي، وأولاد الإمام روحيّاً أن يقدروا الحكمة القاسمية، وينشروها جميع أنحاء العالم، فنستفيد نحن، ويستفيد العالم كلّه. إذًا أدّينا فرائض، وحقوقه الواجبة علينا، وإلاّ فليس لنا أن ننتسب أنفسنا إلى هذا المكتب الفكري المبارك.

اللهم وفقنا لأن نؤدّي حقّ من يجب أداء حقّه. آمين. يا رب العالمين.

معهد الفكر الإسلامي ديوبند
Deoband Institute of Islamic Thought
An Islamic Think-tank